إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات يوليو ٢٠٢٣م

عن الطاعة (العمل)

قيل عن أبا أموس وأبا بيتيميوس أنهما زارا أبا أخيلس ذات مرة. كان الوقت مبكراً جداً فوجداه يعمل، يحيك الحبال. طلبا منه أن يوجه لهما بعض الكلمات المفيدة، فأجابهما قائلاً: "منذ مساء الأمس وحتى الآن، كنت أحيك الحبال بوتيرة سريعة، على الرغم من أني في الواقع لست بحاجة للقيام بكل هذا العمل. ومع ذلك، أعمل هكذا، خوفاً من أن يجد الله من الضروري أن يعاقبني، قائلاً: 'لماذا، على الرغم من قدرتك، لا تعمل؟' لذلك، أتعب بكل قوتي."

كثير من آباء الرهبنة في الكنيسة أكدوا على قيمة العمل اليدوي لأنه يؤدي إلى التواضع. قال الرسول بولس عن نفسه إنه عمل بيديه بالجوع والعطش والبرد والعرى، نهاراً وليلاً، حتى لا يفتقر هو والذين معه إلى أي شيء ضروري. نحثكم على عدم حب الكسل، بل يجب أن يعمل كل واحد منكم معاً وحسب استطاعته، بإخلاص وصدق النية... الراهب الذي لا يشغل جسده لا يمكنه أبداً أن يحافظ على تفكيره خالياً من الأفكار القبيحة، كما يقول سليمان: "نَفْسُ الْكَسْلاَنِ تَشْتَهِي وَلاَ شَيْءَ لَهَا" (الأمثال ١٣: ٤)، و الكسل يبتدع شروراً كثيرة(سيراخ ٣٣ : ٢٩). ليت هؤلاء الأشخاص الذين كانوا كسالى حتى الآن يتخلصون من هذه العادة السيئة، ويبدئوا فوراً في كل عمل، فهو مكتوب: "لاَ تَكْرَهِ الشُّغْلَ الْمُتْعِبَ، وَلاَ الْحِرَاثَةَ الَّتِي سَنَّهَا الْعَلِيُّ." (سيراخ ٧ : ١٦). القديس يوحنا كاسيان أيضاً فهم كيف يحمي العمل الرهبان من الإغراءات. كتب قائلاً: "هناك قول بين آباء مصر القدماء يقول إن الراهب العامل يُحارب بشيطان واحد، بينما يتعرض الكسول لجموع شياطين لا تحصى".

لا تكن مهملاً في عملك، فكثيراً ما ستأتي عقلك الفكرة أنك لن تكون قادراً على تعلم حرفة معينة. سيقول لك، "أنت ضعيف وكسول، وغير قادر على تحمل الألم الذي يتطلبه أداء هذا العمل. انظر، كل جزء من جسدك يؤلمك من التعب، لأنك لست معتاداً على الإرهاق. لذا، قم وعد إلى حيث كنت. وهناك،" يقول لك عقلك، "إذا كنت فقط تتقي الله ستخلص."

الآن، لا تدع نفسك تستسلم لمثل هذه الأفكار، بل اصبر مع الرب، الذي دعاك إلى ملكوته. لقد قال لنا: "بِصَبْرِكُمُ اقْتَنُوا أَنْفُسَكُمْ" (لوقا ٢١: ١٩) :وقال "لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَل لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهذَا

الْجَبَلِ: انْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ، وَلاَ يَكُونُ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَيْكُمْ." (متى ١٧ : ٢٠) لذا يا أحبائي، دعونا نصبر، لأننا نضع أملنا ليس في الإنسان، ولكن في الله، الذي ينقذ جميع الذين يأملون فيه.

ربما، أيها الحبيب، ليس هناك حاجة لتحمل الصعاب لتعلم القراءة والكتابة؟ إذا تعلمت حرفة دنيوية، أليس عليك أن تحتمل الشقاء أيضاً؟ إذا كنت تتحمل كل هذه الأشياء بصبر طويل، أليس من اللائق أن تصبر على جميع الأشياء من أجل الرب؟ فحتى الكتاب المقدس يقول: لأَنَّكَ تَأْكُلُ تَعَبَ يَدَيْكَ، طُوبَاكَ وَخَيْرٌ لَكَ" (مزمور ١٢٨: ٢) ويحضنا الرسول قائلاً: "يَتْعَبُ عَامِلاً ٱلصَّالِحَ بِيَدَيْهِ، لِيَكُونَ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ مَنْ لَهُ ٱحْتِيَاجٌا"(أفيس ٤ : ٢٨). هكذا، من يكره العمل ليس مستقيماً، فالكسل يظهر الشر الكثير، بينما من يحب العمل فلن يذُق الحزن.

أيها الحبيب، إن اخترتَ التقوى لنفسك، فاحترس، لئلا يضع الشرير في ذهنك فكرةً غريبةً تحت غطاء التقوى. أي أن يضع في ذهنك الفكر الباطل أو الكبرياء أنك لست بحاجة للعمل مع إخوتك، حتى لا تعرّض تقواك للخطر. بل عليك أن تعمل مثل إخوتك وتهتم بتقواك. فالكسل يُدمر التقوى، ويُلقب الذين يتبنونه بألقاب مخزية. لذا، دمج التقوى واهتمامك بالعمل يجعلك تكون حقاً تقياً. أيها الحبيب، إذا كنت تتعب في الدير وتشعر بالتعب أكثر من الآخرين، فكن حذراً حتى لا يثير الشرير فيك أفكاراً مليئة بالمرارة القاتلة، حتى تقول لنفسك "أنا أقوم بعملٍ كثيرٍ جداً" وبالتالي تطلب عملاً إضافياً أو مختلفاً عن إخوتك الآخرين. فإذا فكرت في مثل هذه الأمور، فإنك لا تسلك وفقاً للمحبة. فعندما تطلب مكافأتك من الناس، فإنك تفقد مكافأة الله.

بما أنك تنتظر مكافأتك من الله، لا تشتهي تلك الأشياء التي تُعرَض عليك من قِبَل الناس. فمن الأفضل أن تتواضع أمام إخوتك وتكون سعيداً، متوقعاً المكافآت التي ستُعطى من قبل القاضي العادل، الذي سيرد لكل شخص مكافأته وفقاً لأعماله، والذي قال في هذا الصدد: "فَمَنْ هُوَ ٱلْعَبْدُ ٱلأَمِينُ ٱلْحَكِيمُ ٱلَّذِي أَقَامَهُ سَيِّدُهُ عَلَى خَدَمِهِ لِيُعْطِيَهُمُ ٱلطَّعَامَ فِي حِينِهِ؟

طُوبَى لِذَلِكَ ٱلْعَبْدِ ٱلَّذِي إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُ يَجِدُهُ يَفْعَلُ هَكَذا. الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يُقِيمُهُ عَلَى جَمِيعِ أَمْوَالِهِ. (متي ٢٤: ٤٥-٤٧).

وأعرف أيضاً أخاً قال: "سأصلي إلى الله أن يبارك أعمال يدي، حتى يدعم بها الدير؛ لأن ذلك سيجلب لي الفرح الكبير، وسأشكر الله أكثر، الذي قال: "بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هَؤُلاَءِ ٱلأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ. (متي ٢٥: ٤٠). طوبى للراهب الذي يحفظ وصايا الرب ويُلتزم بثلاثة أمور: التفاني في الصلاة والعمل والدراسة.

أيها الحبيب، إذا كنت تعيش في أحد المجامع الديرية مع الإخوة، فكن متضعاً واخدم إخوتك في كل شيء. لذلك، عندما يأمر الرؤساء أن تقوم ببعض الأعمال مع الإخوة، فانطلق بشغف ولا تنتظر حتى يصل أحد آخر. ولا تتعامل مع الكسالى، الذين يضربون أنفسهم بكسلهم ويصابون بالضرر الكبير بذلك. فأولاً، يصبحون مخالفين وأنانيين وكسالى؛ بالإضافة إلى ذلك، يفقدون أي مكافأة لجهودهم؛ وثالثاً، والأهم من ذلك، يعطون سبباً للآخرين للشكوى والغيبة والعصيان. سيحاسبون أمام الله، الذي سيحكم عليهم بالضرر الروحي الذي تسببوا به للآخرين. أنت، أخي، لا تعطهم أي اهتمام؛ فلم يقل أحد في وقت الحصاد: "بما أن جاري لا يحصد القمح لنفسه، لن أحصد القمح لنفسي أيضاً". بل على العكس، كل شخص، عندما يتاح له الوقت، يجمع الطعام لنفسه، حتى لا يكون في حاجة عندما يأتي الشتاء. لأن الكسل يشير إلى الشر الكبير وهو ملعب للشيطان.

في العالم، يُنظَر إلى العمل في كثير من الأحيان على أنه وسيلة للوصول إلى هدف، وسبيل لكسب العيش وتلبية احتياجاتنا المادية. ومع ذلك، في الحياة الرهبانية، يكتسب العمل معنى أعمق. يصبح طريقاً نحو التواصل مع الله، ووسيلة لبناء الفضائل، وتعبيراً عن حبنا له ولبعضنا البعض. إن آباء البرية وجدوا الراحة في عملهم. عملوا بجد، سواء كانت المهام اليدوية مثل حياكة السلال أو العناية بالحديقة، أو المشاركة في الأنشطة الفكرية مثل دراسة الكتاب المقدس والمشاركة في الصلاة.

من خلال عملهم، اكتشف آباء البرية القوة المُحوِلة للعمل. أصبح العمل قناة للتطهير الداخلي، وسيلة لكتمان انشغالات العالم وتركيز أذهانهم وقلوبهم على الله. أصبحت أيديهم آلات صلاة، وأعمالهم مليئة بالغرض الإلهي.

كرهبان وكراهبات، يجب علينا أن نقدم عملنا كتقدمة لله، خالٍ من الأنانية والأنا. لأن من خلال التواضع والإنكار الذاتي يتقدس عملنا. في الحياة الرهبانية، لا يُنظَر إلى العمل على أنه عبء، بل كنعمة. القديس يوحنا كاسيان، المعلم الروحي العظيم في الصحراء، يعبر بشكل جميل عن التوافق بين العمل والصلاة. لذا، دعونا نتقبل عملنا بروح من الفرح والامتنان، عالمين أنه من خلاله نقترب من الله. لنقدم كل مهمة، بغض النظر عن صغرها أو عاديتها، كفعل عبادة. لنقترب من عملنا بتواضع، معترفين بأننا عبيد لا أهل لنا بالجدارة، ومع ذلك، وُكلت لنا ميزة خدمة ربنا. ونحن نسعى للقداسة في حياتنا الرهبانية، فليكن عملنا شاهداً على محبة المسيح داخلنا. لتكن ضوءاً يشع في الظلمة، شاهداً على قوة نعمة الله القادرة على التحويل. ولنجد، مثل آباء الصحراء قبلنا، الشبع الحقيقي والتواصل مع الله من خلال عمل أيدينا، وتعب أجسادنا، وتفاني قلوبنا.